دراسة نقدية في توظيف الاسترجاعات في قصة النبي يوسف(ع)

(دراسة على أساس نموذج جيرار جينت)

حسين كياني* وسعيد حسام‌پور** ونادیا دادبور***

الملخّص:

عنصر الزمان هو الحجر الأساس في الحياة عامة وفي الحياة الأدبية خاصة ولطالما شغلت هذه القضية أذهان الباحثين. ومن ثمّ فالرواية هي الزاخرة بالأحداث والأفعال وهما عنصران لاينفصلان عن الزمن الروائي. فهنالك نقاشات قامت لتشيد بجانب من جوانب هذا العنصر الحاسم. ومن الذين شمّروا عن سواعدهم لينالوا حظاً في هذا الميدان هو جيرار جينت الذي اقترح نموذجاً لتحليل الزمن الروائي في كتابه «خطاب الحكاية» ومقترحه قام على أكتاف ثلاثة عناصر؛ هي: الترتيب، الاستمرار، والتواتر. تقنية الترتيب تقوم بدراسة الاسترجاعات والاستباقات في النص السردي. والاسترجاعات هي الرجوع إلى الحادث الماضوي وإعادته لأهداف خاصة.

استهدفت المقالة تبيين فاعلية الاسترجاعات ومدى تأثيرها في قصة يوسف النبي(ع) في القرآن الكريم وبعد مقدمة في تبين الترتيب الزمني وأنواع الاسترجاعات درست المقالة توظيف الاسترجاعات في القصة واختارت المنهج الوصفي التحليلي أساساً للدراسة.

وصلت المقالة أخيراً إلى أنّ الاسترجاعات المتواجدة في قصة النبي يوسف(ع) في القرآن الكريم تؤدي إلى انسجام هذه القصة وتواشجها والاسترجاعات الداخلية هي من أكثر أنواع الاسترجاعات تواتراً في قصة يوسف النبي(ع) وهذا الأمر لعب دوراً هاماً في تكوين السرد العنقودي لهذه الحكاية حيث إنّها تتمحور حول بؤرة رئيسة هي رؤيا يوسف(ع) التي تبدأ من عهد الطفولة إلى أن تنتهي القصة بتأويلها في المشهد الأخير. المشهد الرابع هو أكثر المشاهد دينامية وانفعالاً في قصة يوسف النبي(ع) كما أنّه أوسع مجالاً قياساً بالمشاهد الأخرى، والاسترجاعات في هذا المشهد تبرز أشد البروز وتسهم إسهاماً كبيراً في انفكاك العقد النهائية للحكاية، حيث لا يمكن التغاضي عن دورها الجلي.

كلمات مفتاحية: زمن الرواية، جيرار جينت، الترتيب، الاسترجاع، سورة يوسف

---

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية و آدابها بجامعة شيراز، إيران. hkyanee@yahoo.com

** أستاذ مشارك بقسم اللغة الفارسية و آدابها بجامعة شيراز، إيران. shessampour@yahoo.com

*** ماجستير في اللغة العربية و آدابها بجامعة شيراز، إيران. ndadpour@yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٣٩١/١٠/١٣هـ.ش= ٢٠١٣/٠١/٠٢م تاريخ القبول: ١٣٩٢/٠٧/١٥ هـ.ش= ٢٠١٣/١٠/٠٧م

المقدمة

يقف الزمن بقضاياه المترامية على ساحة كبيرة من الأهمية ولا سيما في النقد الروائي الحديث. وقام الكثير من الباحثين ينطلقون في هذا الميدان ويغوصون فيما يتعلّق بعنصر الزمان وهو يشكل نسيجاً سميكاً للبناء الروائي ومن هؤلاء الباحثين جيرار جينت «الذي يعد أب السرديات في العصر الحديث»[١]. هو الذي اقترح في كتابه «خطاب الحكاية » نموذجاً لدراسة قضيّة الزمن الروائي على صعيد مستويات ثلاثة هي: الترتيب، والاستمرار، والتواتر.و الزمن الروائي يتيح للمتلقي الفرصة المناسبة لتذوّق النص الأدبي و لا سيما القرآني منه رغم أنّ هذه القضيّة تبدو عصيّة الالتقاط لكنّها تشحن بالدلالات التي تتوق إلى تجسيد البنيات الزمنية الكامنة، و قصة يوسف النبي(ع) ميدان خصب لمعالجة هذه القضية.

أمّا هذه المقالة فراحت تركز جلّ اهتمامها على الجانب الأول من تقنية الترتيب أي الاسترجاعات وفروعها المختلفة. فهي تستخرج العينات الاسترجاعية في قصة النبي يوسف(ع)، القصة القرآنية التي امتازت بالتسلسل الأحداثي المتواصل، من دون التقطّع في حركية أحداثها ومن ميزاتها الأخرى ابتداء القصة وانتهاءها في وحدة سردية واحدة؛ هذا ما يمهّد ميداناً خصباً للدراسات الزمنية ولا سيّما تقنية الترتيب على قصة يوسف النبي(ع) كنموذج للرواية الممتازة.

قضية الزمن الروائي بما فيه من تقنيات وأساليب قضية جديرة بالبحث والملاحظة وهي تكشف للمخاطب رؤية جديدة متمايزة، إذ الزمن يتعلق بنسيج القصة ودراسة الاسترجاعات تبيّن مدى انسجام هذه القصة كما أنّها محاولة تفسيريّة ترنو إلى إزاحة السّتار عن وجه الدلالات المعنوية الخفيّة في قصة يوسف النبي عليه السلام.

والزمن خيط غير مرئي متناثر في البُنيات القصصية وهو يعّد نواة من نوايا الحركات الأمامية والخلفية في الأحداث القصصية. المجالات البحثية المتواجدة في الزمن واسعة جداً وإحدى المجالات الهامة التي تختص بدراسة الزمن هي قضية الاسترجاعات التي تبيّن التأرجحات الزمنية في النسيج السردي فدراسة الاسترجاعات في قصة النبي يوسف(ع) تضخم بعض الأبعاد القصصية التي جعلت هذه القصة مستأهلة بأن تكون أحسن القصص.

استهدفت هذه المقالة الكشف عن مدى فاعلية الزمن في القصص القرآنية بالتركيز على قصة النبي يوسف(ع)، كما قصدت دراسة الترتيب الزمني (قسم الاسترجاعات) في هذه القصة على أساس النموذج الزمني المقترح من قبل جيرار جينت لتبيين مدى تأثير الاسترجاعات في تضخيم الجماليات الأدبية في قصة النبي يوسف عليه السلام في القرآن الكريم و تأثير هذه التقنية على تماسك هذه القصة.

[١]-إبراهيم خليل، **بنية النص الروائي دراسة**، ص٦٩

تسعى هذه المقالة الإجابة عن الأسئلة التالية:

ما هو مدى تأثير دراسة الاسترجاعات وأنواعها في تطوير دلاليّة قصة يوسف النبي(ع) في القرآن الكريم؟

ما هي الكميات التوزيعية الاسترجاعية في سورة يوسف؟

سبقت هذه الدراسة دراسات؛ أهمها:

- البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصرالله، (٢٠٠٥م). وقد خصص الكاتب قسماً من كتابه بدراسة الزمن الروائي على ما قال به جينت حيث درس تقنية الترتيب والاستمرار على مختارات من روايات ابراهيم نصر الله.

- بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم: (٢٠٠٨م). (قصة يوسف نموذجا) قراءة في ضوء مفاهيم السرد المعاصرة، تكلم الباحث فيها عن الاسترجاعات والاستباقات إلّا أنّه لا يفصل الكلام، بل يشير إليها بصورة موجزة.

- بنية النص الروائي: دراسة، (٢٠١٠). وقد عالج الكاتب فيما عالج قضية الزمن وتقنياته المختلفة، وأتى بنماذج قصصية لتفصيل القضايا النظرية.

«تحليل زمان روايى از ديدگاه روايت شناسى بر اساس نظريه زمان ژنت در داستان «بى تن» اثر رضا اميرخانى»، (١٣٩٠). هذه المقالة قامت بتحليل قصة «بي تن» على أساس الزمن الروايي المقترح من قبل جيرار جينت.

هذه الدراسات السابقة دراسات قيمة إلا أنها لم تجعل الاسترجاعات محوراً لدراستها و لم تشر إلى المؤشرات الزمنية التي تسهم إسهاماً كبيراً في ترقية تقنية الاسترجاعات في اللغة العربية، كما أنها لم تشر إلى الاسترجاعات الجديدة المتواجدة في النص القصصي الذي قامت بتحليله وهذه المقالة حاولت التركيز على هذه الأمور التي ما تتطرقت إليها الدراسات السابقة بشكل مباشر.

هذه الدراسة تركز على المنهج الوصفي التحليلي الإحصائي، فوصفت الأسس النظرية لدى جيرار جينت في كتابه «خطاب الحكاية» بصورة موجزة وبينت أنماط الاسترجاعات التي اقترحها جينت في مقترحه بأنواعها الداخلية والخارجية ثم وضعت أنواع الاسترجاعات المتواجدة في قصة النبي يوسف(ع) التي لم تتواجد في مقترح جينت و بينت معانيها في المباحث التكميلية في الأسس النظرية، وفي القسم الثاني قامت بتحليل قصة النبي يوسف(ع) عبر استخراج العينات الاسترجاعية وانطلقت في تنسيق هذه الكميات من مبدأ الكمية فبداية أشارت إلى العينات الاسترجاعية المتكاثفة في قصة النبي يوسف(ع) حتى انتهت إلى ما هو أقل انتشاراً (كثافة) في هذه القصة. هناك بعض المؤشرات اللفظية؛

فعلية أو اسمية أو حرفية تساعد بشكل بارز على تبلور الاسترجاعات وانجلاء ساحتها في القصة فلمحت إليها المقالة في مواضعها وتركت بعضاً منها لقلّة حاسميتها وضعف دورها في العلاقات الأحداثية في قصة النبي يوسف(ع).

زمن الرواية

جيرار جينت أراد أن يتبنى عنصر الزمن في تحليله للرواية، فعمل على التمييز بين الزمنين: زمن القصة و زمن الخطاب. زمن القصة هو الزمن الحقيقي، متوالي الأحداث وهو يبين الترتيب المنطقي القائم بين مكونات الرواية الذهنية. وزمن الخطاب هو الزمن الافتراضي يخترق فيه الترتيب المنطقي ويبرز بشكل أبين في الكتابة فهو الزمن المكتوب. وعدم الافتراق بين هذين الزمنين يسمى درجة الصفر الزمني، حيث يتساوى فيه زمن القصة وزمن الخطاب. هذه الدرجة المعيارية لا تظهر إلا عبر المكونات الزمنية الرئيسة والمكونات الزمنية الرئيسة عند جينت هي: الترتيب، والاستمرار، والتواتر[١]. فالترتيب هو دراسة الاسترجاعات والاستباقات بأنواعها. والاستمرار يتضمن دراسة المحاور التي تساعد على تسريع الحكاية أو تبطئتها وهي: المجمل، الحذف، الوقفة، المشهد والتواتر أي التكرار الذي يعالج فيه حالات التكرار الروائي.

الترتيب الزمني

الترتيب الزمني الذي يتكلّم عنه جينت، يبيّن للمخاطب المواضع الزمنية التي يتبعثر فيها زمن الرواية ويتزاح عن الحاضر فيتأرجح نحو الماضي أو المستقبل فهو يعني « دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما، مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصّة، وذلك لأن نظام القصّ هذا، تشير إليه الحكاية صراحة أو بصورة غير مباشرة»[٢]. هذه التقنية تؤدي إلى انكسار العامود الزمني للرواية باستقطاب عنصري التشكيل الاسترجاعي أو الاستباقي في الشبكات السردية. ويحتفظ جينت بمصطلح المفارقة الزمنية الذي هو مصطلح عام، ليدلّ به على أقسام التنافر الموجود في الترتيب الزمني ويجعله خاصّاً لهذين المصطلحين أي الاسترجاعات والاستباقات. الاستباقات وهي التي يجعل لها جينت تسمية أخرى أي الاستشرافات تملأ جانباً من جوانب الترتيب الزمني أي المفارقات الزمنية وهي أقلّ تواتراً في الروايات بالنسبة إلى الاسترجاعات وهي مجموعة من الحوادث الروائية التي يحكيها السارد بهدف إطلاع المتلقي على ما

---

[١]- جيرار جينت، **خطاب الحكاية (بحث في المنهج)**، ص ١٧

[٢]- **المرجع نفسه**، ص٤٢.

سيحدث في المستقبل ...»[١]. أما الاسترجاع الذي ركزت عليه هذه المقالة يستحضر في الروايات ويؤدي إلى ترقية مستواها الدلالي.

الاسترجاع / الاستذكار

مصطلح الاسترجاع في رأي جينت هو:«... كلّ ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها من القصة،...»[٢]. فالاسترجاع هو الرجوع إلى الحدث السّابق لغاية خاصة وهو يتفرّع إلى أقسام. هذه التقنية أي الاسترجاع قد تسمّى استذكاراً أو تذكراً و من فوائدها: تشييد البنية الروائية وولادة أزمنة متداخلة ومتشابكة ثمّ انفتاح عدسة الرواية على الماضي/ التاريخ القريب والبعيد ممّا يقوم بوظائف حاسمة في حركة الرواية وتنشيط ذهنية المخاطب وهي لاتكون فقرات عديدة أو جمل متكاثفة فحسب وقد يتمّ الاسترجاع عبر كلمة من جملة، أو كلمات قليلة، مرصوفة كانت أو متناثرة وتساعد عملية الاسترجاع على سدّ الفجوات وتعبئة الفراغات وفي أعلى مستوياتها تؤدّي إلى تذكّر شبكة القصة برمّتها.[٣] الاسترجاعات عند جينت تنقسم إلى عدّة أقسام:

(الجدول: ١)

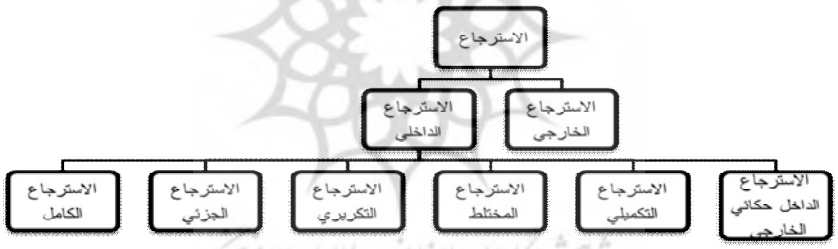

الاسترجاع الخارجي

لتبيين معنى الاسترجاع الخارجي يهمّ إدراك معنى الحكاية الأولى؛ فهي تلك الحكاية التي تبدأ عملية الحكاية بها وهي الخطّ غير المرئي عند اعتراض استرجاع خارجي عليها. فالاسترجاع الخارجي هو الذي يخرج تماماً عن الحكاية الأولى و«... وتظلّ سعته خارج سعة الحكاية الأولى . . . »[٤]. وهو

---

[١]- مرشد أحمد، **البنية و الدلالة في روايات إبراهيم نصر الله**، ص ٢٦٧.

[٢]-**المرجع نفسه**، ص ٥١

[٣]- راجع: صبيحة أحمد عقلم، **تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية، الرواية الدرامية أنموذجاً**، ص ٢٣٤ و٢٣٣و١٤٢.

[٤]- جيرار جينت، **خطاب الحكاية (بحث في المنهج)**، ص ٦٠.

يبين حادثة أو شخصية خارجة عن إطار الحكاية الأولى إلّا أنّها متعلقة بالحكاية من جهة ما وتكشف للمخاطب جانباً من الجوانب الغامضة المتواجدة في الحكاية الأولى والاسترجاعات الخارجية بوصفها خارجية، لاتوشك في أية لحظة أن تتداخل مع المحكى الأول، لأنّ وظيفته الوحيدة هي إكمال المحكى الأوّل عن طريق تنوير الملتقي بخصوص هذه السابقة أو تلك »[١].

الاسترجاع الداخلي

هذا نوع من الاسترجاع يتعلّق بالفضاء الداخلي للحكاية وهو يستعيد الأحداث التي حدثت داخل الحكاية عن طريق الشخصيات أو الراوي. الاسترجاع الداخلي لايستعيد ذكرى الأحداث الاستطرادية التي ترتبط بالأجواء الخارج حكائية بل لاتزال تقع في قارورة الحكاية وإطارها الواضح ولاتجتاح فضاءاتها الداخلية. وهي تنقسم إلى الأقسام التالية:

الاسترجاع الداخل حكائي الخارجي

يقترح جيرار جينت في كتابه «خطاب الحكاية» تسمية هذه الاسترجاعات الداخلية بغيرية القصة، وهي«... الاسترجاعات التي تتناول خطاً قصصياً «وبالتالي مضموناً قصصياً» مختلفاً عن مضمون الحكاية الأولى أو مضامينها ...»[٢] وهي تتناول وجهين من الإبداع السردي:

الأول: إدخال شخصية جديدة بقصد كشف القناع عن سوابقها.

والثاني: إظهار شخصية غائبة عن الأنظار لمدة طويلة ولزوم استعادة ماضيها القريب.

هذا النوع من الاسترجاعات لايؤدّي إلى قلق الحكاية الأولى أو غيابها، بل يؤدّي إلى توسيعها تمهيداً لما سيحدث في المستقبل[٣].

الاسترجاع التكميلي

هذا الاسترجاع يستعيد الماضي ليسدّ الفجوات والإسقاطات الماضوية يسمي جينت هذه الاسترجاعات التكميلية، «إحالات » ويعرّفها كذلك:« ...تضم المقاطع الاستعادية التي تأتي لتسدّ بعد فوات الأوان، فجوة سابقة في الحكاية وهكذا تنتظم الحكاية عن طريق إسقاطات مؤقتة وتعويضات متأخّرة قليلاً أوكثيراً، وفقاً لمنطق سردي مستقل جزئياً عن مضي الزمن ويمكن أن تكون

---

[١]- مرشد أحمد، **البنية و الدلالة في روايات إبراهيم نصر الله**، ص ٢٣٨.

[٢]- جيرار جينت، **خطاب الحكاية (بحث في المنهج)**، ص ٦١ .

[٣]-راجع: **المرجع نفسه**، ص ٦١.

حذوفاً مطلقة أي نقائص في الاستمرار الزمني ...»[١].

الاسترجاع التكراري

هذا الاسترجاع يقوم بتكرار الحادث الماضوي لغاية خاصّة «... وبالطبع، لا يمكن لهذه الاسترجاعات التذكيرية أن تبلغ أبعاداً نصية واسعة جدّاً إلّا نادراً، بل تكون تلميحات من الحكاية، إلى ماضيها الخاصّ، أي ما يسميه ليمرت ruckgriffe، أو « عودات إلى الوراء» لكن أهميتها، في اقتصاد الحكاية ... وتعوض إلى حد كبير عن ضعف اتساعها السردي ... فإنّ مقارنة بين وضعين متشابهين ومتباينين في آن واحد، هي التي تحفز غالباً تذكيرات لاتلعب فيها الذاكرة اللاإرادية .. . »[٢].

الاسترجاع الجزئي

«. . . الاسترجاع الجزئي يحكي لحظة من الماضي تظلّ معزولة في تقادمها . . .»[٣]. وهو بمعنى نقل الخبر الجزئي الماضوي الذي لايؤدّي إلى غموض النص السردي و لو حذف كأنّه لم يحذف شئ، وربّما أدّى إلى إظهار بعد من أبعاد الشخصية وهو مساعد في الأحداث ويمنح السّير السردي اتّجاهاً خاصاً أو فكرة مميزة ويزوّد القارئ أحياناً ببعض القضايا التاريخية أو غيرها من القضايا التي يجهلها.

الاسترجاع الكامل

الاسترجاع الكامل هو الذي ترتبط « . . . بممارسة البداية من الوسط فيرمي إلى استعادة " السابقة السردية" كلّها وهو يشكل على العموم قسطاً مهمّاً من الحكاية بل ينطوي في بعض الأحيان على الجوهري منها بما أنّ الحكاية الأولى تبدو نهاية مسبقة»[٤]. وهذا النوع من الاسترجاعات الداخلية تستوعب مساحة نصية شاسعة، وما يميزه هو اتصاله بالحكاية الأولى «... من دون أن يحلّ الاستمرارية الزمنية بين السياقين الحكائيين اللذين يفصل بينهما ومن هنا تنشأ صعوبة هذا الاسترجاع الناتج عن الوصل الضروري بين المحكي المسترجع والمحكي الأول، وهو وصل قلّما يمكن أن يتحقّق دون نوع من التراكب وبالتّالي دون ظِلّ من عدم التماسك إلّا إذا كان السّارد قادراً على أن يستمدّ من هذا العيب نوعاً من المتعة اللعبية . . . »[٥].

---

[١]-**المرجع نفسه**، ص ٦٢.

[٢]-**المرجع نفسه**، ص ٦٥.

[٣]- **المرجع نفسه**، ص ٧٢.

[٤]- جيرار جينت، **خطاب الحكاية (بحث في المنهج)**، ص ٧١ .

[٥]- مرشد أحمد، **البنية و الدلالة في روايات إبراهيم نصر الله**، ص ٢٦٠.

الاسترجاع المختلط

«... هي استرجاعات محدودة جداً لايلجأ إليها إلّا نادراً وفيها تمتزج الاسترجاعات الخارجية بالاسترجاعات الداخلية، وهي تقوم على استرجاعات خارجية، تمتدّ حتّى تنضم إلى منطلق المحكى الأوّل وتتعدّاه أي أنّ نقطة مداها سابقة لبداية المحكى الأول ونقطة سعتها لاحقة لها . . . أنّه استرجاع خارجي من حيث المدى وداخلي من حيث السعة أمّا بالنسبة إلى الوظيفة التي ينجزها هذا المسترجع المختلط فإنّ وظيفته تكميلية لأنّه ينضم إلى المحكى الأول من نقطة التي توقّف عندها المحكى الأوّل ليفسح المجال كي يأخذ حيّزه النّصي من مساحة الحكي . . . الحيّز النصي الذي استحوذ عليه في منظومة الحكي ضيّق جداً لندرة اللّجوء إلى استعمالها وهذا ما يفسّر سبب مرور (جينت) عليه بشكل عابر...»[١].

المباحث التكميلية

إنّ قضية الزمن الروائي عند جينت، هي حصيلة دراسته على رواية «الزمن الضائع» لبروست. هذه الرواية لا شك تتميّز بميزات خاصّة دون الروايات الأخرى و تختلف لغتها عن اللغة العربية اختلافاً تاماً. فيستدعي هذا الأمر انتباه الدارس فعليه استكشاف النقط الخلافية الموجودة بين لغته التي يدرس الزمن فيها وبين لغة جينت التي استخرج منها مقترحه للتوغل في الشبكة الزمنية للرواية. هذه القضية أدّت إلى استكشاف الميزات اللغة العربية التي هي المحطة المحورية للدراسة في هذا المقال. اللغة العربية تتميّز بحضور المؤشرات الاسترجاعية التي تساعد على استذكار الأحداث الماضوية. هذه المؤشرات كثيرة جداً وجلّ المقاطع السردية تتمتّع بحضور كميّات كبيرة من المؤشرات الاسترجاعية. تنسق هذه المؤشرات على أساس استيعابها الزمني بالفعلية والإسمية والحرفية؛ فالفعل يتميّز بالقسط الأوفر من الدلالة الزمنية فهو لم يزل ولايزال يدلّ على الزمن، ثم يليه الاسم وهو تارة يتمتع بالدلالة الزمنية وتارة يفتقد هذه الدلالة وأخيراً الحرف، فالحرف وإن دلّ على الزمن لم تكن دلالته الزمنية شمولية لعدم استقلاله المعنوي في الغالب إلّا أنّ هذه المؤشرات المتناثرة في النص السردي، تارة تتأبّط دلالات زمنية استرجاعية واسعة لايمكن التغاضي عنها وتارة تتضاءل دلالتها إلى نقطة النسيان؛ وفي هذه النقطة لاشئ يدعم(يستدعي) ذكر هذه الدلالة الاسترجاعية التي تقترب من التفاهة.

والجدير بالذكر أنّ ما أشار إليه جينت في كتابه «خطاب الحكاية» في تقسيمات الشرائح الاسترجاعية تختص برواية «الزمن الضائع» لبروست ومن يتبع خطوات الاسترجاعات في قصة يوسف

[١]-**المرجع نفسه**، ص ٢٦٥-٢٦٦.

النبي(ع) يجد أنواعاً أخرى من الاسترجاعات تتعلق بهذه القصة القرآنية و لم يشر إليها جينت لطبيعة الرواية البروستية التي تفتقد هذه الاسترجاعات وتذكرها المقالة في «الاسترجاع التكميلي» لإزالة بعض الغموض حين الاستقصاء في التحليل.

الاسترجاع التكميلي

هناك بعض الاسترجاعات الداخلية التي وردت في قصة النبي يوسف (ع) وهي تختص بهذه القصة القرآنية و لم يشر إليها جيرار جينت في كتابه «خطاب الحكاية» هي:

(الجدول:٢)

الاسترجاع الختامي: كل قصة رئيسة تحتوي في طيّاتها على قصص صغرى تقع في المشاهد المختلفة من القصة الرئيسة وتسمّى بالقصص السابحة. هذا النوع من الاسترجاع الداخلي، يتموقع في نهاية القصة السابحة ليستعيد مواضيع هذه القصة ويبيّن نهايتها وعلاقتها بالقصة الرئيسة وغالباً ما يتراءى الاسترجاع الختامي الداخلي بعد انفكاك العقد القصصية الصغرى وهو يؤدي إلى التعليق في كثير من الأحيان.

الاسترجاع الحيادي: وهو ما يتعلّق بشخصية واحدة من شخصيات القصة فهي من دون الشخصيات الأخرى تستعيد الماضي في ذهنها وتبيّن الشخصية التي تذكّرت الماضي موضعها تجاه ذلك الماضي الذي استذكرته. من ميزات هذا الاسترجاع هو أنّه يبلور الشخصية القصصية ويزيح الستار عن علاقاتها الإيجابية أو السلبية بالأحداث الماضوية وهي الميزة التي تفتح للمخاطب نافذة جديدة لتلقي المعنى القصصي أكثر فأكثر.

الاسترجاع التلخيصي: هو الاسترجاع الذي يحتوي على ملخّص الحكاية بكاملها، وهو الذي يرد في أخريات الحكاية الرئيسة ويستعيد جميع مواضيعها الهامّة.

الاسترجاع الاستعاري: هذا الاسترجاع يتميّز فيه المسترجع بكونه وحدة استعارية غير صريحة وهو من الاسترجاعات المعقّدة التي تتطلّب ذاكرة القارئ الواعية وهي في قصة النبي يوسف(ع) أدّت

إلى انسجام القصصي حيث لحقت الرؤيا التي تمّ مشاهدتها إلى تأويلها الذي وجد مكانه في المشهد الخامس من القصة.

الاسترجاع الذهني التلميحي:هذا الاسترجاع يعني لمحة إلى الوراء والتخلّف نحو أحداث القصة الماضوية وهذه الاستعادة لابّد أن تكون تستوعب مساحة قليلة أولاً وثانياً لابّد أن تكون في نطاق ذهنية الشخصية ولأنّه يتعلّق بذهن الشخصية سمّي ذهنياً ولأنّه يعد لمحة قهقرائية سمّي تلميحياً.

الترتيب الزمني في قصة النبي يوسف(ع)

قصة يوسف وهي أحسن القصص خير ساحة لتطبيق هذا النموذج؛ لأنّها تحتوي على الشبكة الزمنية المتواصلة من غير تجزئة وتفكيك والمشاهد فيها تتوزّع على أساس السّير التأريخي الواقعي للأحداث. هذا ما يميّزها عن سائر القصص القرآنية التي تكرّرت وتوزّعت على نواصي نص الحكيم «فإن الله ساق فيها حالة يوسف (ع) من ابتداء أمره إلى آخره، وما بين ذلك من التنقلات واختلاف الأحوال»[١]. وذلك لبلوغ مبلغ متناسب من الغايات المنشودة لدى الرب. فقصة يوسف تتميّز بهندستها البنائية التي يكاد ينقطع نظيرها.

والظّاهرة البارزة التي يلحظها القارئ في سورة يوسف عليه السلام هو أنّها «**...** أنموذج الرّواية التامّة الحلقات المتسلسلة السرد، المصورة للحوادث والأشخاص وكأنّ الله عزّ وجلّ قد صاغ قصة هذا النبيّ الكريم في سورة مستقلة ليعلم هؤلاء الذين يشترطون ما يشترطون في الإبداع القصصي أنّ القرآن لو شاء أن يفرد كلّ نبي بقصة خاصّة، لفعل ولكنّه يكرّر قصص الأنبياء في مختلف السور لحكمة عليا تقتضيها الدعوة الإلهيّة التي نهض برسالتها القرآن...»[٢].

هذة الوحدة السردية أي سورة يوسف، تعدّ استرجاعاً إلى الزمن الماضي وهي تناولت قضية حقيقية وقعت في سابق الأزمان وهي تذكرة للرسول (ص) بعدما دبّ الحزن في شرايينه إثر ايذائه من قبل المشركين في مكة وهي وحدة معنوية تقوم على ركيزتين، الأولى؛ الصبر على الشدائد والثانية؛ الرجاء لما وعد الله من نصرة المسلمين وذلك يتّضح تماماً في الرسم البياني للسورة، إذ هو تنقّل من يسر إلى عسر ومن عسر إلى يسر:

---

[١]- عبد الرحمن ابن ناصر السعدي، **قصص الأنبياء فصول في ذكر ما قص الله علينا في كتابه من أخبار الأنبياء مع أقوامهم**، ص ١٠٢.

[٢]- أحمد نوفل، **سورة يوسف دراسة تحليلية**،ص ١٥.

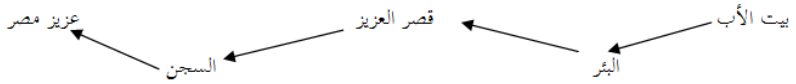

فالبئر والسجن هما مطلعان لانقشاع الغيوم وتفريج الكروب وهما يدلان على زمنية متمفصلة أولها عهد الصبا وآخرها عهد الرجولة والرشاد. وهذا إطار واضح في تبيين دينومة الزمان في هذه الوحدة. فهذه القصة التي تكون استرجاعاً تأريخياً مستهدفاً، تحثّ الرسول (ص) على رؤية ماضوية كما فيها «إشارة للنبي (ص) أنّه بهجرته إلى المدينة ستكون له النّصرة والمنعة ويحقّق الله تعالى له النصر على من آذوه وأخرجوه من مكة»[١].

وهذه الوحدة بالنسبة إلى المتلقّي في العصر المعاصر، استرجاع مزدوج وهذه الثنائية تعمل أضعافاً مضاعفة؛ فالرسول يتذكر يوسف والمتلقّي المعاصر لابّد أن يتذكر ما جرى على الرسول أولاً وما جرى على النبي يوسف عليه السلام ثانياً.

فاستذكار المتلقّي حالياً استذكار كثيف متشابك يحتوي على مقارنة لامرئية بين الرسول(ص) والنبي يوسف عليه السلام واسترجاع الرسول عليه السلام استرجاع قشري يفقد هذا التموضع القريني وذلك لمقتضى الحال، لأنّ الرسول(ص) وهو في تلك الحالة من الضيم وتلك الحالة من الاقتراب إلهي لا يحتاج إلى هذه الشبكة المعقدة الاسترجاعية خلافاً للمتلقّي الحالي الذي لا يستشعر بما أحاط الرسول(ص) كما أنّه يبتعد مسافات شاسعة عن الألوهية الحقة.

الكميات الاسترجاعية المتوزعة في قصة النبي يوسف(ع)

قصة النبي يوسف(ع) تشتمل على خمسة مشاهد رئيسة: الأول:« عهد الطفولة» الآيات:٢١ -٤. والثاني: «في القصر» الآيات: ٣٤-٢٢. والثالث:« في السجن» الآيات: ٥٤-٣٥. والرابع:« إنعام الملك على يوسف(ع) بخزانة مصر» الآيات:٨٧-٥٥. والخامس، « اللقاء المثير» الآيات:١٠٢-٨٨. واللافت للنظر أنّ هذه القصة تخضع للزمن التأريخي المتسلسل ومثلاً «لو اقتطف الجزء الخاص بكيد إخوة يوسف(ع) له في بداية الحكاية وما دار بينهم من مداولات في ذلك، وكيف راودوا عنه أباه وخدعوه، وكيف أنفذوا كيدهم، وما دار بينهم وبين أبيهم من حوار للتنصّل من الجريمة، وكيف كان موقف أبيهم منهم، فهذه سلسلة من الوقائع المادية والنفسيّة تتلاحق على محور الزمن تلاحقاً خطيّاً»[٢]

---

[١]- **المرجع نفسه**، ص ٧٠.

[٢]- إبراهيم عبد المنعم، **بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم: (قصة يوسف نموذجاً) قراءة في ضوء مفاهيم السرد**

فبالرغم من هذا السير الخطي الشامل المسيطر على القصة هناك ينكسر التسلسل الزمني في القصة عبر الاسترجاعات من دون أن ينهدم البناء الزمن المتواصل انهداماً تاماً؛ وقد توزعت الاسترجاعات في المشاهد الخمسة المتتالية كما ورد في الجدول التالي:

(الجدول:٣)

رقم المشهد	الكميات الاسترجاعية في المشهد
المشهد الأول	موضع واحد (١)
المشهد الثاني	ثلاثة مواضع(٣)
المشهد الثالث	ثلاثة مواضع(٣)
المشهد الرابع	تسعة مواضع(٩)
المشهد الخامس	أربعة مواضع (٤)

ما يستنتج من الجدول هي الأمور التالية:

١-الكميات الاسترجاعية تستوعب مساحة كبرى في قصة النبي يوسف(ع) وهذا ما يطابق كل المطابقة على أصول كتابة الرواية في العصر الحديث والسبب راجع إلى أنّ قصّة يوسف بكاملها تتبنّى على وحدة استرجاعية حاسمة، هي رؤيا يوسف(ع) في عهد الطفولة وهذا ما جعل السرد فيها عنقودياً حيث تتراكم الأحداث كلّها حول بؤرة واحدة هي الرّؤيا فكل عناصر القصة تسعى إلى تحقيقها. الأمر الذي تحقق أخيراً بشكل سافر حيث قال يوسف(ع) في نهاية المطاف: ﴿هذا تأويل رؤياي﴾[١].

٢- الوحدات الاسترجاعية في المشهد الأول ضئيلة جداً فيتواجد فيه موضع استرجاعي واحد وذلك أنّ خلفية الحكاية لم تتشكل بعد كي تتمهّد الأجواء لتوظيف آلية الاسترجاع بصورة بارزة.

٣- المشهدان الثاني والثالث يصطبغان بالصبغة الاسترجاعية ويساعد على انسجام الحكاية وإلحاق بدايتها إلى المشاهد الأخيرة.

٤-المشهد الرابع هو المشهد الحاسم في قصّة النبي يوسف(ع) فلذا اكتظّ بالوحدات الاسترجاعية اكتظاظاً متعاضداً.

٥-ممّا يلفت النظر هو تنامي الوحدات الاسترجاعية من بداية القص حتى المشهد الرابع ثم ينحدر هذا التّنامي التّصاعدي في المشهد الأخير؛ ذلك أنّ المشهد الخامس وهو المشهد الأخير يحتوي على حل

المعاصرة، ص ١٢٦.

[١]- **يوسف:** ١٠٠.

العقدة النهائية أي تأويل رؤيا يوسف(ع) ممّا يجعل الرجوع إلى الوراء أمراً يقترب من التفاهة والمشهد الرابع وما قبله بحاجة إلى التراجعات والاستذكارات لئلا يتقطع حبل الانسجام في القصة ولا سيما عند الانتقال من مشهد إلى آخر، حيث تتغير الأجواء مئة بالمئة نحو: الانتقال من القصر وسعة العيش إلى السجن وضيق العيش.

الاسترجاعات في قصة النبي يوسف عليه السلام

الاسترجاعات الخارجية

هذه الاسترجاعات استوعبت مساحة قليلة قياساً بالوحدات الاسترجاعية الأخرى أي الاسترجاعات الداخلية فهي وردت في قصة النبي يوسف(ع) مرتين الأولى:﴿ وَ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾[١]. ما يترائ من هذه الوحدة السردية، هو الاسترجاع الخارجي « يتناول حادثة أسبق من المنطلق الزمني للمحكى الأول، ولذلك تظلّ سعته كلّها خارج سعة الحقل الزمني للمحكى الأول، لأنّه يحيل إلى أحداث روائية وقعت قبل بدء الحكاية ... وظيفتها الوحيدة هي إكمال المحكى الأول عن طريق تنوير المتلقي بخصوص هذه السابقة أو تلك »[٢]. اعتبر الإخوة يوسف (ع) سارقاً في غابر الأزمان قبل بداية هذه الرواية القرآنية ولمح إلى هذه القضية هاهنا لتلحيم الإرتباك الفكري الذي وقع فيه إخوة يوسف(ع) ولتبرير أنفسهم من السرقة وتعليقها على الشقيقين أي يوسف(ع) وبنيامين. وقصة يوسف هي أنّه «سرق صنماً لجده فكسره»[٣]. وقيل أنّ عمّته شدّت على حزامه منطقة يتوارثه الأنبياء وحينما شوهد احتزامه بالمنطقة اتهم بالسرقة[٤]. فهذه الوحدة الاسترجاعية عملت في تحصين الحكاية من التفكك بخلق لحمة منسجمة بين الأحداث الماضوية الخارج حكائية والأحداث الداخل حكائية.

وتجلت الاسترجاعات الخارجية الثانية في الآية:﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيْهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾[٥].

---

[١]- **يوسف:** ٧٧.

[٢]- مرشد أحمد، **البنية و الدلالة في روايات إبراهيم نصر الله**، ص ٢٣٨ .

[٣]-إسماعيل ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ص ٤٤٣.

[٤]- راجع: **المصدر نفسه**، ص ٤٤٣.

[٥]- **يوسف:** ١٠٢.

الاسترجاع في هذه الوحدة هو استرجاع خارجي ختامي، لأنّه ورد بعد انتهاء القصة وهو يقوم بتذكير مستهدف لهذه الرواية ويشير إلى أنّ هذه القصة وردت لتخاطب الرسول (ص) قبل هجرته من مكة إلى مدينة وهو كما ورد سابقاً استرجاع ثنائي لثنائية المتلقي، المتلقي الخاص وهو الرسول (ص) والمتلقي العام أي البشر طوال العصور المختلفة. وهذا الاسترجاع يبلور الهدف الذي سيقت القصة لأجله. والمؤشرات الاسترجاعية التي تتواجد في هذه الوحدة هي: «ذلك» فهو يشير إلى جميع الحكاية فهي نبأ من أنباء الغيب وردت لتزيل حزن الرسول كما وردت لتبين حكمة الله سبحانه وتعالى فيما يقدّر ثمّ القسم الأخير من الآية « إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ» يستعيد ذكرى كيد الإخوة ومكرهم الفاشل فهذا الاسترجاع الخارجي يبيّن الأهمية القصوى التي يتميز بها هذا القسم من الحكاية وما تتضمن من الحكم في طياتها.

الاسترجاعات الداخلية

الاسترجاعات الذهنية التلميحية

هذه الاسترجاعات أكثر الاسترجاعات الموظفة في قصة النبي يوسف(ع) وهي وردت في عشرة آيات، وهذه الوحدات الاسترجاعية في الغالب تستعيد الأحداث المتعلقة بالمشهدين؛ عهد الطفولة وما فعل الإخوة بيوسف(ع)، إذ ألقوه في غيابة الجبّ ومشهد المراودة، حيث وقع يوسف (ع) في شرك التهمة وكأنّ هذين المشهدين بؤرتان رئيستان في الحكاية ولذلك لمحت الحكاية إليهما مراراً. نموذج منه حدث في أخريات المشهد الثالث، حيث قال الله سبحانه وتعالى:﴿وَ قَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾[١]. هذه الوحدة تعدّ استرجاعاً تلميحياً لأنّها تلمح إلى الفضاء الماضوي أي السجن وما طرأ على الشخصيات في تلك الآونة وهذا ما يتبيّن من القسم الأول من الآية ﴿ وَ قَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾؛ فما يلمح إليه هذا المقطع عبر الاسترجاع هي الأمور التالية: رؤيا صاحبي السجن، تأويل يوسف(ع) لرؤياهما، تعيين مغبة صاحب السجن الأول الذي صلب، مغبة صاحب السجن الثاني الذي عمل ساقياً للملك، قول يوسف(ع) لصاحب السجن الثاني، إذ قال له ﴿اذكرني عند ربك﴾[٢].

والاسترجاع الذهني التلميحي الآخر يتجلّى في المشهد الرابع، حيث الإخوة طلبوا من أبيهم يعقوب(ع) كي يأذن لهم بأخذ أخيهم بنيامين معهم إلى مصر، فألحوا عليه إلحاحاً شديداً وأصرّوا عليه إصراراً بعيداً فـــ:﴿ قالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كما أَمِنْتُكُمْ عَلى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حافِظاً وَهُوَ

[١]- **يوسف:** ٤٥.

[٢]- **يوسف:** ٤٢.

أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[١]. هذه الوحدة الاسترجاعية تعدّ لمحة إلى عهد طفولة يوسف النبي(ع) حين أراد الإخوة تحقيق مكيدتهم له بعدما تشاوروا معاً ليلقوا يوسف(ع) في غيابة الجب و قالوا لأبيهم:﴿ يا أَبانا ما لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَناصِحُونَ. أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً يَرْتَعْ وَ يَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ. قالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ. قالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخاسِرُونَ ﴾[٢]. إلّا أنّ الإخوة بعدما ربطوا على قلب أبيهم يعقوب(ع) وأخذوا منه ميثاقاً غليظاً نكثوا أيمانهم، إذ جاءوا أباهم عشاء متباكين حاملين قميص يوسف(ع) الملطّخ بدم كذب.

فهناك مؤشرات استرجاعية تستعيد الماضي لدى المخاطب في هذه الوحدة فهي:«آمنكم» و«أخيه» و«من‌قبل» ثمّ أداة التشبيه «كما» التي لعبت دور الوظيفة التوصيلية بين الحاضر القصصي وماضيه وهي عقدت الصلة المتينة بين الأمور التالية: بنيامين في الحاضر ويوسف(ع) في الماضي، طلب الإخوة في الحاضر لأخذ بنيامين معهم إلى مصر وطلب الإخوة في الماضي لأخذ يوسف(ع) معهم إلى الصحراء، ائتمان يعقوب(ع) على الإخوة في الماضي والفشل في هذا الائتمان وائتمان يعقوب(ع) على الإخوة في الحاضر واحتمال الفشل في هذا الائتمان ثانية لتشابه الظروف في هذه الآونة وتلك اللحظة الماضوية.

ومشهد انتقال يوسف(ع) من السجن إلى القصر مشهد ملئ بالدينامية والحركة فهو يتمتع بحضور الاسترجاع الذهني التلميحي، حيث ﴿ وَقالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ قالَ ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾[٣]. هذه الوحدة تلمح إلى الأحداث التي طرأت على يوسف(ع) في القصر كما تشير إلى كيد النسوة وكيد امرأة العزيز تجاه يوسف(ع) فبعدما شغفت زليخا به شاع خبرها في المدينة فشرعن النسوة بملامة زليخا، مكيدة لها ورغبة في لقاء يوسف(ع)، هذا الفتى الذي استوى الخلق والخلق على قامته فبلغ خبرهن مسامع زليخا فكالت لهن الصاع بالصاع فاعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكيناً و﴿ وَ قالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حاشَ لِلَّهِ ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[٤] فالنسوة « جرحن أيديهن بالسكاكين، لفرط الدهشة المفاجئة، استعار لفظ (القطع) للجراحة، وهي (استعارة لطيفة) والتعبير عن

---

[١]- **يوسف:** ٦٤.

[٢]- **يوسف:** ١٤- ١١.

[٣]- **يوسف:** ٥٠.

[٤]- **يوسف:** ٣١.

الجرح بالقطع، مما يشير إلى كثرة جراحهن، ومع ذلك لم يشعرن به، لاستغراقهن في الاستمتاع بجمال يوسف(ع) الفائق»[١]. فهذه الوحدة تلمح إلى قضية النسوة لتثبت برائة يوسف النبي (ع) الذي سجن وهو برئ ولتزيل ظلال الشكوك عن عصمة يوسف(ع) الذي سيصبح عن كثب عزيزاً لمصر والمؤشرات الاسترجاعية التي ساعدت على حضور الاسترجاع التلميحي في هذا المقطع قد احتشدت في القسم الأخير من الآية:﴿ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.

والمؤشرات الفعلية المتواجدة في هذا المشهد «ائتوني» و«جاءه» «ارجع» «فاسئله» «قطّعن» تتحرك من الزمن المضارع إلى الماضي ثمّ إلى الأمر ثمّ تكرار الأمر ثمّ الرجوع إلى الماضي وهذه الحركة الزمنية تضخم دينامية هذا المشهد وتبيّن مدى حاسميته في النسيج قصة يوسف(ع).

فبعدما انتهت القصة وكلّ الشخصيات أخذت نصيباً من أمرها وحكم الله بينها بالعدل تتراجع القصة نحو الوراء وتسير القهقراء فإذا بالقارئ في المشهد الأول عند نادي الإخوة ومجمعهم، حيث يتناجون كيداً لأخيهم يوسف(ع) وحقداً لحبّ يعقوب(ع) له إلّا أنّ القصة بيّنت أنّ ماء كيدهم أصبح غوراً وظل سعيهم خائباً و لم يجدوا من عملهم إلّا توبة وندماً هذا ما يتجلّى في الآية:﴿ ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾[٢]. هذه الوحدة تلمح إلى تآمر الإخوة على يوسف(ع) وأخيه ما وقع في بدائات الحكاية، حيث جلس الإخوة في ناديهم المنكر﴿ إِذْ قالُوا لَيُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبانا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ. اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحِينَ. قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ ﴾[٣]. فهذه الوحدة التي وردت في أخريات الحكاية تستعيد ذكرى هذه المؤامرة الفاشلة وتؤكد على أنّ الله يفعل ما يشاء لا مايشاء غيره والقدر خاضع لإرادته ولو كره الكارهون فيوسف(ع) تربع على عريكة القدرة ورأى تأويل رؤياه رغم إكراه إخوته وتآمرهم.

الاسترجاعات الداخل حكائية الخارجية

قد تردد هذا النوع من الاسترجاعات في قصة النبي يوسف(ع) ثمانية مرات، وجلّها تتجلّى في ظهور شخصية جديدة على خشبة المسرح القصصي؛ وجميع هذه الشخصيات التي ظهرت في قصة

---

[١]- محمد علي الصابوني، **الإبداع البياني في القرآن العظيم**، ص ١٤٥.

[٢]- **يوسف**: ١٠٢.

[٣]- **يوسف**: ١٠- ٨.

النبي يوسف(ع) عبر تقنية الاسترجاع الداخل حكائي الخارجي لها دور توسيطي في الحكاية كما أنّ هذه الشخصيات حراكية تؤثّر تأثيراً ملحوظاً في دينامية القص وحركته نحو الأمام. هذه الشخصيات وردت في الجدول التالي:

(الجدول:٤).

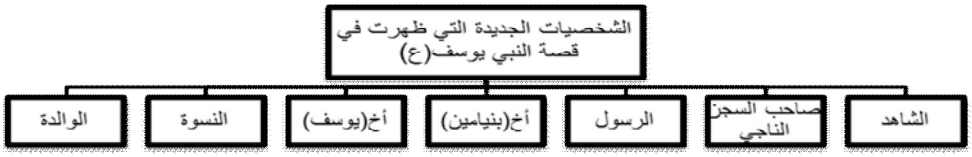

فالشاهد يساعد على نجدة يوسف(ع) من ورطة التهمة في ﴿ وشهد شاهد من أهلها﴾[١]. فالشاهد الذي هو من أقرباء زليخا يتوسّط لنجدة يوسف(ع) في تلك الأجواء المتوترة فالشاهد وهي شخصية مجهولة تنقذه بقوله ﴿ إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْكاذِبِينَ. وَإِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَلَمَّا رَأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[٢]. ثمّ صاحب السجن الناجي في الآية: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدْ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيْلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾[٣]. شخصية وردت في القصة في المشهد الثالث، حيث دخل يوسف(ع) السجن وساعدت على ازدهار مقدرته في تأويل الأحلام ثم غابت عن الأنظار ردحاً بعيداً من الزمن ثم ظهرت ثانية هاهنا لتساعد على خروج يوسف(ع) من السجن وتربعه على العرش ودورها دور توسيطي وشخصيتها كشخصية الشاهد مجهولة.

و«الرسول» في الآية﴿وَ قالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ قالَ ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾[٤]. شخصية حراكية و تصور الأجواء الأرستقراطية في القصر. فالملك ذوجلالة ورفعة يخدمه معشر من الناس وهو شخصية مجهول هويتها، تستوظفه الحكاية، كما أنّه عامل توسيطي يلحق الفضاء الأرستقراطي الرغد بفضاء السجن والمعيشة المستعصية فيه. وهذا ما يمهد الأرضية المناسبة لتلاقي الشخصيتين الرئيستين؛ الملك ويوسف(ع) في المشهد الرابع وإنعام الملك على يوسف(ع) بخزانة مصر كما يعبّد الطريق لانتقال يوسف(ع) من السجن إلى القصر

---

[١]- **يوسف:** ٢٦.

[٢]- **يوسف:** ٢٨-٢٦.

[٣]- **يوسف:** ٤٥.

[٤]- **يوسف:** ٥٠.

ثانية. ثمّ «الأخ» في الآية ﴿ وَ لَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ قالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَ لا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَ أَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾[١] هذه الكلمة التي تدلّ على بنيامين يعدّ عاملاً توسيطياً لرجوع الإخوة ثانية إلى مصر وفي رؤية مستقصية يؤثر ظهور هذه الشخصية بشكل ملحوظ على لقاء يوسف(ع) ويعقوب(ع) صورة هذه الشخصية التوسيطية خلافاً لماسبق صورة واضحة المعالم، إذ هي شقيق يوسف النبي كما هي أصغر سناً بالنسبة إلى سائر الإخوة. و«الأخ » في الآية:﴿ قالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّها يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَ لَمْ يُبْدِها لَهُمْ قالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكاناً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفُونَ﴾[٢] وهي تدل على يوسف(ع) وهي شخصية غابت عن الإخوة ردحاً من الزمن وظهرت هاهنا وأدّت إلى الاسترجاع الداخلي الخارج حكائي وساعدت على إنقاذ الإخوة من تهمة السرقة حينما أثبتوا السرقة لبنيامين شقيق يوسف(ع) بالإشارة إلى قصة يوسف(ع) وقصة يوسف عليه السلام هي أنّه «سرق صنما لجده فكسره»[٣] وقيل أنّ عمته شدّت على حزامه منطقة يتوارثه الأنبياء وحينما شوهد احتزامه بالمنطقة اتّهم بالسرقة [٤].

و«النسوة» في الآية:﴿وَ قالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جاءَهُ قالَ ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ وَاسْئَلْهُ مَا بالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾[٥]. هذه الكلمة تؤدّي إلى ظهور الاسترجاع الداخلي الخارج حكائي لأنّ هذه الشخصية الجماعية ظهرت من قبل ثم غابت عن الأنظار وظهرت ثانية في هذا المشهد لتؤكد على برائة يوسف(ع) وطهارة ذيله ودورها دور توسيطي وشخصيتها واضحة المعالم فهي تلك التي اندهشت حينما شاهدت يوسف(ع).

وشخصية الوالدة التي ظهرت مرة واحدة على خشبة المسرح القصصي عبر المؤشر الإسمي «أبويه» في الآية:﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقالَ يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[٦] هي الشخصية الإنسانية الحراكية التي

---

[١]- **يوسف:** ٥٩.

[٢]- **يوسف:**٧٧.

[٣]- إسماعيل ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ص ٤٤٣.

[٤]- راجع: **المرجع نفسه**، ص ٤٤٣.

[٥]- **يوسف:** ٥٠.

[٦]- **يوسف:** ١٠٠.

كانت خفية طيلة الحكاية وما ظهرت إلّا في هذه الآونة التي تقترب الحكاية من نهايتها وظهور هذه الشخصية ساعد على تحقيق رؤيا يوسف(ع) بالصورة الواضحة التي يتلمّسها كلّ متلق بنظرة بسيطة غير متعمقة. ما يلفت النظر هو أنّ المؤشر «لَمَّا» قد لعب دوراً هاماً في تعيين مواضع الانتقال من مشهد إلى آخر وذلك يتجلّى في مواضع عدّة من قصة يوسف النبي (ع) نحو« فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ» و«وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ» « فَلَمَا جَاءَهُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّك ».

الاسترجاع الداخلي التكريري

ورد هذا الاسترجاع في قصة النبي يوسف (ع) ثلاث مرات لاستذكار أهم الأحداث في هذه الرواية و هي:

أولاً: مؤامرة الإخوة على يوسف(ع) وقد تكرر ذكر هذا الحادث مراراً وفي مواضع مختلفة هي الآيات التالية:

﴿لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِ﴾[١] و﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِّ﴾[٢].﴿أَ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ وَ مِنْ قَبْلُ ما فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾[٣]. ﴿قالَ هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ ﴾[٤]. ﴿ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ﴾[٥]. هذا التكرار يؤكد على مقدرة الله سبحانه وتعالى في تغيير مصير الإنسان من العسر إلى اليسر خلافاً لما يُظن وما يُتوقع؛ فإلقاء يوسف(ع) في الجب يتوقع منه عاقبة غير جيدة ومصير مظلم، لكن إرادة الله خالفت الظّنون وصنعت من يوسف(ع) الملقى في غياهب الجب عزيزاً متربعاً على العرش.

ثانياً: كيد امرأة العزيز ليوسف(ع) وهو تكرر في الآيات التالية:

---

[١]- **يوسف:** ١٠.

[٢]- **يوسف:** ١٥.

[٣]- **يوسف:** ٨٠.

[٤]- **يوسف:** ٨٩.

[٥]- **يوسف:** ١٠٢.

﴿قالَ هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾[١]. ﴿قالَتْ فَذلِكنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَ لَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَ لَيَكوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ قالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَ إِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَ أَكنْ مِنَ الْجاهِلِينَ﴾[٢]. ﴿وَقالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَها حُبًّا إِنَّا لَنَراها فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿وَ قَالَ الْمَلِك أئْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّك وَ اسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيْمٌ﴾[٣]. ﴿قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٤]. وظف الاسترجاع الداخلي التكريري في هذه المقاطع للتأكيد على برائة يوسف(ع) واستجلاء الحقيقة استجلاء تاماً فيوسف(ع) طاهر الذيل برئ من الآثام والفواحش وبعيد عنها كلّ البعد.

ثالثاً: مقدرة يوسف النبي (ع) على تأويل الرؤيا وهذا الأمر قد تكرر في مواضع عدّة هي:

﴿وَكذلِك يَجْتَبِيك رَبُّك وَ يُعَلِّمُك مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيث﴾[٥] ﴿ وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيث﴾[٦]. ﴿قالَ لا يَأْتِيكما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكما بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكما ذلِكما مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾[٧]. ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْك وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيث﴾[٨]. فمقدرة النبي يوسف(ع) على تأويل الرؤيا من المنعطفات الهامّة في حياة يوسف النبي(ع) وقد وردت هذه الموهبة مرات عديدة عن لسان الشخصية نفسها وهذه الحكاية الترددية اصطبغت بالصبغة الاسترجاعية، فمرة يعقوب(ع) يخبر يوسف(ع) بأنّ الله عزّ وجلّ سيعلمه من تأويل الأحاديث ومرة أخرى السارد يشير إلى هذه المقدرة التي سيهبها الله سبحانه وتعالى ليوسف(ع)، إذ يقول:﴿ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيث﴾ فهاتان الوحدتان، وحدتان محوريتان والوحدات المتتالية تستعيد ذكراهما ففي حديث يوسف (ع) مع صاحبي السجن بعدما طلبا منه تأويل رؤياهما يتذكر يوسف(ع) هذه الموهبة وكذلك هذه الموهبة عن لسان يوسف(ع) في

---

[١]- **يوسف:** ٢٦.

[٢]- **يوسف:** ٣٢ و ٣٣.

[٣]- **يوسف:** ٥٠.

[٤]- **يوسف:** ٥١.

[٥]- **يوسف:** ٦.

[٦]- **يوسف:** ٢١.

[٧]- **يوسف:** ٣٧.

[٨]- **يوسف:** ١٠١.

أخريات الحكاية بالأسلوب الدعائي، إذ قال:﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ﴾. تكرار مقدرة يوسف(ع) على تأويل الرؤى الذي ورد في شتى نواحي القصة عبر الاسترجاع الداخلي التكريري، يبيّن الدور الحاسم الذي لعبته هذه الموهبة في حياة بطل القصة أي يوسف(ع) فهي أدّت إلى خروجه من السجن وفي المرحلة المتتالية أدّت إلى تربعه على العرش وتأويل رؤياه التي رآها في عهد الطفولة والحقّ أنّ الاسترجاع نسيجٌ منسجمٌ ومترابطٌ، حيث يمكن تسمية السرد في قصة النبي يوسف(ع) سرداً عنقودياً، إذ الأحداث كلّها تدور حول قضية واحدة هي تأويل رؤيا يوسف(ع) التي رآها في عهد الطفولة.

الاسترجاع الداخلي الختامي

هذا الاسترجاع في قصة النبي يوسف(ع) ورد مرة واحدة وذلك في الآية:﴿ وَ قَالَتْ فَذَلِكنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيْهِ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيَسْجُنَنَ وَ لَيَكونَا مِنَ الْصَاغِرِينَ ﴾[١]. هذه الوحدة استرجاع داخلي ختامي ذلك أنّها وردت في نهاية حكاية النسوة التي وقعت في قصة النبي يوسف(ع) في المشهد الثاني «في القصر» وهي تذكر المخاطب عبر عبارة : ﴿ وَ قَالَتْ فَذَلِكنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيْهِ﴾ ملامة النسوة في حب زليخا لفتاها في الآية:﴿ وَ قالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَها حُبًّا إِنَّا لَنَراها فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[٢]. وهي بداية هذه القصة السابحة أي قصة النسوة ودور هذا الاسترجاع الداخلي الختامي دور تبريري لأنّه يبرر حب زليخا ليوسف(ع) وكلامها في هذا المقطع الاسترجاعي يدلّ على أنّ «هذا الفتى حقيق بأن يحب لجماله وكماله»[٣]. فلا داعي للملامة فهنا تنتهي قصة النسوة التي مهّدت الأرضية المناسبة لانتقال بطل القصة من المشهد الثاني «في القصر » إلى المشهد الثالث « في السجن» وكشفت عن مقدرة يوسف(ع) في تأويل الرؤيا وتجلّت هذه المقدرة بعد تأويل يوسف(ع) رؤيا صاحبي السجن.

الاسترجاع الداخلي الاستعاري

يتجلّى هذا الاسترجاع في المشهد الأخير، حيث هو واضح في الآية:﴿ورَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَداً﴾[٤]. فهذا المقطع يبيّن المعاني الاستعارية التي وردت في رؤيا يوسف(ع) في عهد الطفولة

---

[١]- **يوسف:** ٣٢.

[٢]- **يوسف:** ٣٠.

[٣]- إسماعيل ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ص ٤٣٤٩.

[٤]- **يوسف:** ١٠٠.

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[١]. فـــ«أبويه» يدلّ على المعنى الاستعاري لـــ«الشمس والقمر» فـــ«الشمس»إشارة إلى أمه أو خالته، لأنّ بعض الباحثين يرون أنّ والدته توفيت وما دخلت عليه بمصر و« القمر» إشارة إلى أبيه يعقوب بن اسحاق عليهما السلام»[٢] و« خَرُّوا لَهُ سُجَداً» يبيّن سجود الإخوة الإحدى عشرة على يوسف (ع) تعظيماً وتكريماً له «و"السجود" فعل يشير إلى تواضعهم ودخولهم تحت أمره»[٣]. وهذا ما يتمثّل في رؤيا يوسف(ع) عبر عبارة «أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً». هذا الاسترجاع الداخلي الاستعاري أدّى إلى انسجام القصة واستحكامها لأنّ الوحدة الاستعارية وقعت في المقطع الأول من القصة وذلك في حلم يوسف(ع) وانفكاك هذه الوحدة الاستعارية ورد في المقطع الأخير من القصة، حيث تتصل بداية القصة إلى نهاياتها وهذا ما يحكم فتل الحكاية ويحول دون تبعثرها وشتاتها.

الاسترجاع الداخلي التلخيصي

هذا الاسترجاع يتجلّى في الوحدة التالية: ﴿ورَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَداً وَ قَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيْلُ رُؤيَايَ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ البَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾[٤] .

هذه الوحدة السردية تتضمن جميع ما دشنته التجربة الروائية وهي استرجاع داخل حكائي تلخيصي تتمحور حول ثلاث محاور رئيسة وهي: تحقيق الرؤيا وتأويلها، ثمّ استذكار محنة السجن وما رافقها من المشقات، وأخيراً استذكار البيئة البدوية التي كان يعيشها يوسف في هناءة ومحبة وهو في بيت الأب. وهي تبيّن كيد الإخوة وتلمح لطيفاً إلى ما حدث ليوسف(ع) وهو في البئر فهذه الوحدة تشكّل نقطة الاستقطاب والتنوير تنطبق انطباقاً عفوياً مع الرسم البياني للسورة:

(الجدول:٤):

---

[١]- **يوسف:** ٤.

[٢]- بالقاسم، « **بنية الخطاب السردي في سورة يوسف دراسة سيميائية»، مجلة الموقف الأدبي**، ص ٥.

[٣]- **المرجع نفسه.**

[٤]- **يوسف:** ١٠٠

استذكار بيت الأب ومحبته تجليا في «وَجَاءَ بِكمْ مِنَ البَدْوِ»[١] فهذه الوحدة تستعيد ذكرى عهد طفولة يوسف(ع) عن إيجاز وحياته في كنعان واستذكار البئر وتآمر الإخوة ليوسف(ع) يتوارى في هذه الوحدة «مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي»[٢] وذلك أنّ إلقاء يوسف(ع) في غيابة الجب ليلتقطه بعض السيارة، يعد أول مرحلة حقدية، ثمّ خروجه من السجن المتجلّي في الوحدة:« إذ أخرجني من السجن » يرسم أمام المخاطب الفضاء السجني الذي كان يعيشه بطل القصة أي يوسف النبي (ع) والوحدة « هذا تأويل رؤياي » تدلّ على تربع يوسف(ع) على العرش وهو استذكار صريح للرؤيا التي كانت باكورة لأحداث الرواية كلّها.

الاسترجاع الداخلي الحيادي

وهو ما يبيّن استرجاع شخصية قصصية من دون الشخصيات الأخرى إلى حادث ماضوي وقد ورد هذا الاسترجاع في قصة النبي يوسف(ع) مرة واحدة في الآية: ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾[٣]. الاسترجاع في هذه الآية يعتبر استرجاعاً داخلياً حيادياً، إذ هو مختص بيوسف النبي(ع) وهو قد ابتعد عن إخوته منذ أمد بعيد فبعدما دخل الإخوة عليه عرفهم وتذكر ماضيه البعيد معهم من دون أن يعرفه الإخوة فهذا الاسترجاع الحصاري، يقتصر في معرفته إيّاهم دون معرفتهم إيّاه وهو يستعيد الماضي المعهود ليوسف(ع) فهذا الاسترجاع يبدو استجابة لظهور ضخم لشخصية يوسف(ع) وهي« صابرة متميزة في هذا الميدان»[٤]كما يعكس دورها في الحقل الاقتصادي والسياسي في البلد[٥] وهو كان من المكانة بحيث لن يظن أحد الإخوة بأنّه هو يوسف(ع) الذي ألقوه في غيابة الجب.

الاسترجاعات المختلطة

الاسترجاعات المختلطة من أقلّ الاسترجاعات تواتراً في قصة النبي يوسف(ع)، إذ هي وردت مرة واحدة في الوحدة:﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيْحَ يُوسُفَ لَولَا أَنْ تُفَنِّدُونَ...﴾[٦]. الوحدة الاسترجاعية التي تموضعت

---

[١]- **يوسف:** ١٠٠

[٢]- **يوسف:** ١٠٠.

[٣] - **يوسف:** ٥٨.

[٤]- محمود البستاني، **قصص القرآن الكريم دلالياً و جمالياً**، ص ٣٢٥.

[٥]- راجع: **المرجع نفسه**، ص ٣٢٠.

[٦]- **يوسف:**٩٤.

في هذه العبارة تتميز عن سائر الوحدات لكونها متأرجحة بين الزمن الماضوي الذهني والزمن المستقبلي المتوقع فهي تدخل ضمن الاسترجاعات المختلطة التي« تقوم على استرجاعات خارجية، تمتّد حتى تنضمّ إلى منطلق المحكى الأول وتتعداه ...»[١].

فها هنا يتذكر يعقوب(ع) ابنه يوسف(ع) وماطرأ عليه من الأحداث فهو استرجاع ماضوي ثم يتجاوز زمن هذا الاسترجاع إلى المستقبل، حيث يتوقع يعقوب النبي(ع) رؤية ابنه يوسف(ع) في مستقبل غير بعيد. فهذا الاسترجاع يتعدى المحكى الأول ويصبح بؤرة محورية للأحداث المتتالية أي لقاء يعقوب(ع) ويوسف(ع) فتتحقق هذه الحدسية عن كثب حينما يأتي البشير ويلقي قميص يوسف(ع) على عينيه المكفوفتين حزناً فيرتدّ بصيراً. فهذا الاسترجاع الداخلي المختلط يتمكن من إنجاز وظيفة مستقبلية.

النتيجة

من خلال تحليل الترتيب الزمني في قصة يوسف(ع) تبينت النتائج التالية:

إنّ الاسترجاعات التي تكلّم عنها جيرار جينت في كتابه «خطاب الحكاية»، وجدت حضوراً في النص القرآني وأكثرها تواتراً في قصة النبي يوسف(ع) هي الاسترجاعات الداخل حكائية الخارجية؛ وهي في الغالب تؤدّي وظيفتين في هذه القصة: أولاً: الكشف عن سابقة مجهولة من سوابق الشخصيات القصصية وإزاحة الستار عن أبعادها النفسية وثانياً: ضمان انسجام القصة وتماسكها عبر تبلور الشخصيات الخفية التي أسهمت إسهاماً ملحوظاً في حركة القصة واستمرار أحداثها. والاسترجاعات الأخرى التي استوعبت مساحة صغرى في قصة يوسف النبي(ع) من الاسترجاعات التي أشار إليها جينت والتي لم يشر إليها تكاد تتمحور حول وظيفة واحدة هي ضمان ترابط الأحداث القصصية بعضها ببعض للحيلولة دون انفكاك المشاهد وانفصالها وإنشاء نص قصصي متواشج.

إنّ قصة النبي يوسف(ع) تتميز بمشاهدها الخمسة (عهد الطفولة/ في القصر/ في السجن/ إنعام الملك على يوسف بخزانة مصر/ واللقاء المثير) ومن يتتبع خطوات هذه المشاهد الخمسة يتلمّس خلالها خطاً زمنياً متواصلاً مما يؤدّي إلى توظيف الاسترجاعات الداخلية النادرة التي لاتؤدي إلى انغلاق النص القصصي وتعليقه، بل تساعد على الحركة الأمامية للأحداث الحكائية في قصة يوسف النبي(ع) خلافاً للاسترجاعات المتواجدة في بعض القصص المعاصرة والتي تعوق القص لحظات طويلة أحياناً ومن ثمّ تسلسل المشاهد في قصة النبي يوسف(ع) واستحضار الاسترجاعات الطفيفة التي لاتنقض حبل

[١]- مرشد أحمد، **البنية و الدلالة في روايات ابراهيم نصر الله**، ص ٢٦٥ .

تماسكها، جعل قصة النبي يوسف (ع) حكاية تتميز بسردها العنقودي حيث تتراكم الأحداث فيها على قضية واحدة هي رؤيا يوسف(ع) في مشهد الطفولة وتستمر القصة إلى أن تتحقق الرؤيا في نهاية المطاف.

والكميات الاسترجاعية المتوزعة بين المشاهد لها سير تصاعدي حتى المشهد الرابع ثمّ تنحدر؛ ذلك أنّ القصة إلى المشهد الرابع ترنو إلى حلّ العقدة وتنساق نحو تأويل رؤيا يوسف النبي(ع) فالقص يتراجع نحو الماضي كي يبني أحداثاً جديدة منسجمة مع السوابق الماضوية المعهودة إلى أن يأتي البشير ويلقي قميص يوسف(ع) على وجه يعقوب(ع)، فتقترب الحكاية من حل العقدة فتقلّ الحاجة إلى التراجع نحو الأحداث السابقة فلهذا انحدرت الاسترجاعات وتنازلت عن السير التصادي الذي كانت تسلكه إلى نهايات المشهد الرابع.

إنّ المؤشرات الاسترجاعية التي وردت في قصة يوسف النبي (ع) تساعد كثيراً على توجيه حركة الاسترجاعات وتواجد مواقعها في جلّ المشاهد وأكثر هذه المؤشرات حضوراً في قصة النبي يوسف(ع) هي المؤشرات الإسمية نحو «لَمَّا» وهي في الغالب وردت للانتقال من مشهد إلى آخر وللضمائر وأسماء الإشارة والأعلام دور كبير في ترابط القصة وانسجام أحداثها. والمؤشرات الفعلية في أكثر المشاهد وردت بالصيغة الماضوية وهي توفّر الظروف المناسبة لتضخيم المشاهد الاسترجاعية.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١- ابن كثير، إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، راجعه ونقحه: الشيخ خالد محمد محرم، لا.ط ،دمشق: المكتبة العصرية، ٢٠٠٥.

٢- ابن ناصر السعدي، عبد الرحمن، **قصص الأنبياء فصول في ذكر ما قص الله علينا في كتابه من أخبار الأنبياء مع أقوامهم**، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع،٢٠٠٤.

٣- أحمدعقلم، صبحة، **تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية، الرواية الدرامية أنموذجاً**، الطبعة الأولى، بيروت- عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر – دار الفارس للنشر والتوزيع،٢٠٠٦.

٤- أحمد، مرشد، **البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصر الله**، الطبعة الأولى، بيروت – عمان:المؤسسة العربية للدراسات والنشر- دار الفارس للنشر والتوزيع،٢٠٠٥.

٥- البستاني، محمود، **قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا**، الطبعة الثانية، قم: مؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية، ١٤٢٨.

٦- جينت، جيرار،**خطاب الحكاية(بحث في المنهج)**، الترجمة: محمد معتصم، عبدالجليل‌الأذي، عمرحلي، الطبعة:الثانية، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧.

٧- خليل،إبراهيم، **بنية النص الروائي دراسة**، الطبعة الأولى، الجزائر: منشورات الاختلاف- بيروت: الدار العربية للعلوم الناشرون،٢٠١٠ .

٨- بلقاسم«**بنية الخطاب السردي في "سورة يوسف" " دراسة سيميائية"** »، مجلة الموقف الأدبي، العدد ٤٣٨، ٢٠٠٧، التشرين الأول، المأخوذة من الموقع التالي:
http://www.alsdaqa.com/vb/showthread.php?t=٢٠٢٩٣&page=١

٩- زيدان، فؤاد، **أهداف كل سورة من القرآن الكريم**، الطبعة الأولى، دمشق: مكتبة دارالكتاب العربي ودارالحافظ للكتاب، ٢٠٠٨.

١٠-الصابوني، محمد علي، **الإبداع البياني في القرآن العظيم«في الأمثال، و التشبيه، و التمثيل والاستعارة و الكناية» مع الإمتاع بروائع الإبداع**، الطبعة الأولى، صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٦.

١١-عبد المنعم، ابراهيم، **بلاغة السرد القصصي في القصص القرآن الكريم: (قصة يوسف نموذجاً) قراءة في ضوء مفاهيم السرد المعاصرة** ، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الآداب،.٢٠٠٨

١٢-نوفل،أحمد، **سورة يوسف دراسة تحليلية**، الطبعة الأولى، عمان – اردن: دار الفرقان للنشروالتوزيع،١٩٨٩.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

بررسی کارکرد پس نگرها در داستان یوسف پیامبر(ع) (با تأکید بر الگوی ژرار ژنت)

دکتر حسین کیانی*، دکتر سعید حسام‌پور**، نادیا دادبور***

چکیده:

زمان یکی از زیر بنائی ترین عناصر در ادبیات داستانی است. زمان داستان عرصه ی مناسبی در داستان پژوهی به شمار می رود. یکی از پیشگامان نظریه پردازی در زمینه ی زمان داستان «ژرار ژنت» ناقد فرانسوی است. او در کتاب «گفتمان روایت» الگویی در جهت تحلیل زمان داستان پیشنهاد می کند. این الگو به بررسی سه مقوله زمان در سه سطح؛ نظم، دیرش، و بسامد می پردازد. در نظم به بررسی پس نگرها و پیش نگرها پرداخته می شود. پس نگری به معنای بازگشت به حادثه ای است که در گذشته ی داستان روی داده است. این بازگشت به گذشته و یادآوری صحنه ای خاص، هدفمند بوده و جنبه ای از جنبه های پنهان داستان را آشکار می سازد و گاه گره از کار خواننده می گشاید. پیش نگری به معنای پیشگویی حادثه های داستانی است. پیش گویی ها غالبا بعدی تشویق کننده داشته در حرکت رو به جلوی داستان مؤثر اند.

این مقاله در نظر دارد به بررسی زمان در داستان یوسف پیامبر در قرآن کریم با تأکید بر اولین بخش سطح اول الگوی ژنت یعنی پس نگری ها بپردازد و کارکرد پس نگری ها را در این داستان قرآنی به عنوان بهترین داستان ها تعیین نماید.

نتایج بدست آمده از این پژوهش بیانگر این مسأله اند که پس نگرها در داستان یوسف(ع) در قرآن کریم باعث انسجام داستان و پیوستگی آن شده اند. پس نگرهای درون داستانی پربسامد ترین پس نگرها هستند. این بسامد در بوجود آمدن روایت خوشه‌ای سهم بسزائی داشته است، به طوریکه داستان یوسف پیامبر را یک هسته ی اصلی به پیش می برد و آن خواب یوسف(ع) در کودکی تا تأویل آن در دوران پادشاهی اوست. صحنه چهارم پر کشاکش ترین و طولانی ترین صحنه ی این داستان است در این صحنه پس نگریها به وضوح دیده می شوند که در گره گشایی داستان یوسف(ع) نقش مهمی دارد.

کلید واژه ها: زمان داستان- ژرار ژنت – نظم- پس نگرها- سوره یوسف

---

* - استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه شیراز، ایران. hkyanee@yahoo.com

** - دانشیار گروه زبان و ادبیات فارسی، دانشگاه شیراز، ایران. shessampour@yahoo.com

*** - فوق لیسانس گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه شیراز، ایران. ndadpour@yahoo.com

تاریخ دریافت: ۱۳۹۱/۱۰/۱۳هـ.ش= ۲۰۱۳/۰۱/۰۲م تاریخ پذیرش: ۱۳۹۲/۰۷/۱۵ هـ.ش= ۲۰۱۳/۱۰/۰۷م

Investigating the function of flashbacks in the story of Joseph the Prophet (PBUH)

Hossein Kiani*, Saeed HessamPoor**, Nadia DadPoor***

Abstract:
The concept of time in stories is a good arena for story research. One of the leading theorists in story time is the French critic, Gerard Jent. In his book *narrative discourse*, he offers a model to analyze story time. The model examines time at three levels: order, duration, and frequency. In *order*, investigation is made of flashbacks and flash forwards. *Flashback* refers to inserting an earlier event into the normal chronological order of a narrative. This return to the past and remembering a particular scene is goal directed and reveals a hidden side of the story and sometimes helps the reader to decode the text. *Foreshadowing* means predicting the story events. Predictions are often encouraging and are effective in moving the story forward.
This paper intends to examine the issue of time in the story of Joseph the Prophet in the holy Qur'an with an emphasis on the first level of the Gerard Jent's model, namely, flashbacks. It also tries to determine the function of the flashbacks in this Quranic story as the best story.
The results of this study indicate that flashbacks have brought about coherence and continuity in the story. The intra-story flashbacks are the most frequents ones. This frequency has had an influential role in creating a cluster narrative in the sense that the story of Joseph the Prophet revolves around a core which is his dream in childhood until it comes true atwhen he becomes a king. The fourth stage is the longest stage and is also filled with much tension. In this scene, it is easy to detect flashbacks, which play an important role in disentangling Joseph's story.
Keywords: story time, Gerard Jent, order, flashback, Joseph

* - Assistant Professor, Shiraz University, Iran.

** - Associate Professor, Shiraz University, Iran.

*** - M.A. in Arabic Language and Literature, Shiraz University, Iran.